Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتواضع الذى قال يوم رحيله عن مصر « ان الأسد لا يعدم فريسته أينما كان » .

ولم تفارق خياله صورة السيد جمال الدين وهو فى مجلسه بين مريديه ، ربعة فى طوله ، وسط فى بنيته ، قمحى فى لونه ، عصبى فى مزاجه ، عظيم الرأس فى اعتدال ، عريض الجبهة فى تناسب ، واسع العينين ، ضخم الوجنات ، جليل المنظر ، متزن الصورة . ويتتبع حياته من أفغانستان الى ايران الى الهند الى مصر الى روسيا الى فرنسا الى القسطنطينية ، وهو يترك فى كل مكان حل به أثرا أى أثر ، داعيا الى الوحدة الاسلامية التى جاهد عمره كله ليرى نورها يضىء الشرق ، فلم يقدر له فى حياته أن يحقق أمله الكبير ، وان كان قد أضاء شعلة الفكر فى العالم الاسلامى . « قضى العمر الا الأقل ، وكاد يحول الأجل دون الأمل ، وهو شمل لم يؤتلف ، وكنز لم يكتشف » (١) .

ولم يلبث أن أفاق من تأملاته على دعوة السلطان ، ولا شك أن لقاء الخليفة كان الهدف الأكبر من رحلته كلها بعد أن أصبح ذا مركز دينى فى مصر . وسره أن يكرم الخليفة وفادته ، وأن يرى فيه نبوغا أكبر من سنه ، فيمنحه رتبة الوزارة العلمية . ولم يسبق فى تاريخ الدولة العلية أن أعطيت هذه الرتبة لعالم أو سياسى مرة واحدة ، أو أخذها وهو فى الثانية والعشرين من عمره مثلما أخذها السيد توفيق البكرى ، فخرج من اللقاء مبتهجا مزهوا وهو يترنم :

عطايا تظنـــــاها لاعظـــــام قدرها
أمانى نفس أو رؤى من مهـــــــوم

= حين كان جمال الدين بمصر ، وأن المكان والزمان الوحيدين اللذين يمكن أن يلقاه فيهما هو القسطنطينية فى ذلك العام ، لأن السيد البكرى لم يزر القسطنطينية قبل وفاة السيد جمال الدين الا هذه المرة .

(١) صهاريج اللؤلؤ ص ٤٨ .